كتاب
الجيب

فقه
السجود

د. علي بن عمر بادحدح

دار الأندلس الخضراء

فقه السجود

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية
بادحدح ، علي بن عمر
فقه السجود
٨٨ ص ؛ ١٧ سم
ردمك ١-٠٤-٧٩١-٩٩٦٠
١ - العبادات (فقه إسلامي)   أ - العنوان
ديوي ٢٥٢   ١٥/٠٥٧٣

رقم الإيداع : ١٥/٠٥٧٣
ردمك ١-٠٤-٧٩١-٩٩٦٠

فقه السجود

د. علي عمر بادحدح

دار الأندلس الخضراء
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

دار الأندلس الخضراء

المملكة العربية السعودية - جدة
الإدارة: ص.ب ٤٢٣٤٠ جدة ٢١٥٤١
هاتف: ٦٨١٠٥٧٧ - فاكس ٦٨١٠٥٧٨

المكتبات • حي السلامة - شارع عبد الرحمن السديري - مركز السلامة التجاري
هاتف - فاكس ٦٨٢٥٢٠٩

• حي الشرفية - شارع بلخشب - سوق الجامعة التجاري
هاتف: ٦٨١٥٠٢٧ - فاكس: ٦٨١٠٥٧٨

• فرع الرياض: حي السويدي الغربي - بجوار أسواق اليمامة
هاتف: ٤٢٣٤٩٣٠ - فاكس ٤٣٣٣٦٥٧

http: //www. al-andalus-kh.com

E-MAIL: info @ al-andalus-kh. com

المقَـدِمَـة

الحمـــد لله نوّر القـلوب بالإيمان، وشرح الصـــدور بالإسلام، وهدى البصائر بالقرآن ، أفاض علينا النّعم، ووقـانـا الشرور والنقم ، فله الحمـد كما يليق بجـلاله وعـظيم سلطانـه ، نحمـده على آلائه التي لا تعد ولا تحصى ، كما يحب ربنـا ويرضى ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيد الأولين والآخرين ، وخاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد :

فإن من أعظم النعم، وأجل المنن التوفيق للهداية ، والملازمة للطاعة ، إذ بهما تحصل طمأنينة القلب وسكينة النفس ، وبحصـــولهما يذوق المؤمن حلاوة الإيمان ،

ويحوز لذة المناجاة ، ويقطف ثمار السعادة الحقة في هذه الحياة التي تعاظمت فيها الشرور ، واختلطت الأمور وحُجِب النور ، إذ كثرت الشبهات ، وغلبت الشهوات ، فإذا الألسن لاغية ، والقلوب لاهية ، والنفوس خاوية ، وصدق في كثير من البشر قول الحق جل وعلا ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ﴾[1] ، تركوا هدى الله فتخبطوا بين ضلالات البشر ، واستكبروا عن عبادة الله فاستعبدهم الطغاة وأذلتهم الشهوات والأهواء ، ولم ينج من هذا كله إلا المؤمن الذي آمن بالله إلهاً واحداً ، ورباً خالقاً ، ثم عبد الله عظيماً مستحقاً للعبادة ، ومنعماً متفضلاً بالخير ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾[2] .

---

(١) طه : ١٢٤ .

(٢) سورة العصر .

والمؤمنون العابدون هبت عليهم رياح الدنيا بعطر فتنتها ، وسلطت عليهم بأضواء بهارجها ، فضعف إيمانهم وخلت عبادتهم من حقائقها الجوهرية ، ومعانيها الإيمانية ، وتأثيراتها النفسية وتغييراتها السلوكية ، ومضى طوفان المادة يطمس نور الإيمان ، ويفسد جمال الروحانية حتى صارت العبادات عادات عند كثير من المسلمين ، وصارت الصلوات مجرد حركات ، لا تعي العقول معانيها ، ولا تستحضر القلوب مراميها ، واستحكمت الغفلة حتى في صفوف جيل الصحوة ، وشباب الدعوة ، فرأيت من المهم أن توجه بعض الجهود إلى التذكير بحقيقة العبادة ، وبيان جوهرها الروحاني الإيماني ، لأن العبادة الخالصة الخاشعة أساس مهم في بناء الشخصية الإسلامية عموماً والشخصية الدعوية الجهادية بشكل خاص .

وهذه الرسالة درسٌ ألقيته ضمن سلسلة دروس عامة

كنت أختــار لها ما أراه مهــماً من الموضوعات وما أعتبره أولوياً من القضايا والمشكلات ، وكان هذا الدرس ضمن هذه السلسلة ، وقد استحسن بعض الإخوة مضمونه، وشعروا بالحاجة له ولأمثاله، فعملوا مشكورين على نقله من أشرطـة التسجيل إلى صفحـات الورق ، فأعدت النظر فيه ، وأعدت صياغة بعض فقراته ، ووثقت نقوله وعـزوتها، وزدت عليه ما رأيته مكملاً لمادته، ومحققاً لفـائـدتـه ، ووضعت مسائله تحت عناوين جامعة ، وقسمت مضامينه إلى تقسيمات واضحة ، والله أسأل أن يكون كل ذلك خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يحصل به خير ولو يسير ، فمن رأى خيراً فلا مطلب ولا رجاء سوى الـدعاء ، ومن رأى غير ذلك فإنني أطلب منه نصحه وإرشاده ، وأشكر له تسديده وتصويبه .

وقـد جعلت هذه الـرسـالـة فاتحـة لسلسلة يتـوالى إصـدارها بإذن الله تعالى، وتتناول موضوعات مهمة،



وقضـايا ملحّـة، وليس في تقـديم «فقه السجود» قصد محـدد، ولا فيما سيتلوه كذلك، وإنما النشر والإصدار بحسب ما يتم إعداده ، وتتيسر أسبابه ، والله أسأل أن يحقق المقاصد والغايات ، وأن يكتب الأجر ويضاعف الحسنات . والحمد لله رب العالمين .

أبو الحسن علي بادحدح
الحرم النبوي الشريف
المدينة المنورة
الأحد ٢٤ رجب ١٤١٣هـ

تمهيد

إن الذهن قد ينصرف عند مطالعة العنوان إلى المعنى الاصطلاحي للفقه وهو : علم باحث عن الأحكام الشرعية الفرعية العملية من حيث استنباطها من الأدلة التفصيلية[١] ، وحينئذ يظن القارىء أن الرسالة مختصة بالأحكام الفقهية ، ولكنني أنبه هنا إلى أنني أعني بالفقه معناه اللغوي وهو العلم بالشيء والفهم له[٢] ، فيكون موضوعنا شاملاً للفقه بمعناه الواسع الذي يجمع بين فهم السجود ظاهراً وباطناً ، أحكاماً وحكماً ، مادة ومعنى .

---

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ٢ / ١٢٨٠ .

(٢) لسان العرب ١٣ / ٥٢٢ .

عظمــة الســجود

إذا تأمل المسلم فإنه سيجد أمر السجود أمراً عظيماً، حيث يجد من آيات القرآن وأحاديث المصطفى ﷺ وهدي سلف الأمة رضوان الله عليهم ما يدل على عظمة السجود وما هو جدير بالتأمل والتدبر، واستنباط المعاني، وفهم هذا السجود فهماً إيمانياً قلبياً مع فهمه فهماً حُكْمياً وعملياً .

لقي سعيد بن جبير مسروقاً فقال له : يا أبا سعيد « ما من شيء يرغب فيه إلا أن نعفر وجوهنا في التراب » - يعني السجود - إنها كلمات تبين أن كل مراده في الدنيا وأن كل لذته فيها إنما يجدها في تمريغ جبهته في التراب

سجوداً وذلة لله سبحانه وتعالى ، ولذا تجاوب معه مسروق رحمة الله عليه فقال : « ما من الدنيا شيء آسى عليه إلا السجود لله تعالى »[٣] ، ومن خلال مثل هذه المقالات المأثورة عن سلف الأمة يظهر لنا جلياً أن السجود ليس أمراً هيناً ، وليس مجرد حركة عضوية بدنيه ، أو أقوالاً ترددها الألسنة دون أن يكون للعقول والقلوب من هذا السجود حظ وافر . وأثر ظاهر فلا يتم السجود دون حضور القلب والخشوع ، ودون إدراك العقل والخضوع فأمر السجود إذن أوسع مدى ، وأعمق غوراً ، فلا بد والأمر كذلك أن نحسن فقه السجود .

ورد في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال : « والذي نفسي بيده ، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع

---

(٣) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء ١/ ٣٣٣ .



الحرب ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها »[٤] .

هذا الحديث علق عليه الحافظ ابن حجر في الفتح فقال : « وسبب كثرته ـ أي المال ـ نزول البركات وتوالي الخيرات بسبب العدل وعدم الظلم وحينئذ تخرج الأرض كنوزها وتقل الرغبات في اقتناء المال لعلمهم بقرب الساعة .

ثم تابع قائلاً : أي أنهم حينئذ لا يتقربون إلى الله إلا بالعبادة، لا بالتصدق بالمال، وقيل معناه أن الناس يرغبون عن الدنيا حتى تكون السجدة الواحدة أحب إليهم من الدنيا وما فيها .

ثم نقل عن القرطبي قوله : معنى الحديث أن الصلاة حينئذ تكون أفضل من الصدقة لكثرة المال إذ ذاك وعدم الانتفاع به حتى لا يقبله أحد»[٥] أي لا تكون هناك

(٤) البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام ، حديث رقم (٣٤٤٨) .

(٥) فتح الباري ٦/ ٥٦٦ .

قربات في النفقات والصدقات يمكن أن يتقرب بها الإنسان فيكون السجود لله سبحانه وتعالى هو العبادة العظيمة التي لا تزاحمها عبادة ، إذ ليس هناك مجال آخر كمجال الإنفاق الذي يحوز به العبد رضي الله سبحانه وتعالى ويدفع به غضبه كما ورد في الحديث (أن الصدقة لتطفىء غضب الرب ، وتدفع ميتة السوء)(*) ، فلما انقطع هذا لم يبق إلا ذلك السجود ، وهذا مؤذن أيضاً بأن السجود في حقيقته عظيم ، وأنه من أعظم القربات لله سبحانه وتعالى ، لكنه قد يشغل عنه المسلم بأمور من أهمها ـ كما يستنبط من هذا الحديث ـ عدم ذكر الآخرة بسبب التعلق بالدنيا ، وكذلك مزاحمة الأعمال الأخرى وإن كانت من الخيرات إذ لو لم يكن للمسلم قدرة على العبادات الأخرى كالصدقة وإعانة المحتاج لكان حظ العبادة والسجود أكبر بحيث يتناسب

(*) سنن الترمذي ٣ / ٥٢ ، كتاب الزكاة ، باب ما جاء في فضل الصدقة ، حديث رقم (٦٦٤) .

مع أهميته وأوليته في العبادات الفاضلة .

ولـذلـك جاء تعليق الشيخ عبـد الرحمن الدوسري رحمة الله عليه على قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وإذ قالت الملائكـة يا مريم اقنتي لربـك واسجدي واركعي مع الراكعين** ﴾(٧) موضحاً لعظمة السجود .

قال : « وعـلى القـول بأن معنى القنـوت الطاعة ، فتكون الملائكة قد أوصوا مريم أولاً بوصية عامة ، وهي مداومة الطاعة بجميع أنواعها ، ثم أمروها بأفضل أنواع العبـادة وأشرفهـا ، وهي الصـلاة ، وخصوا من هيئاتها الركوع والسجود لشرفهما وعظيم أهميتهما ، وقدموا السجود على الركوع ، لأن المصلي أقرب ما يكون لله وهو ساجد ، فالسجود أفضل أركان الصلاة »(*) .

كما في الحديث عند مسلم(٨) ، (**أقرب ما يكون**

---

(٧) آل عمران : ٤٣ .

(٨) مسلم (شرح النووي) ٤ / ٢٦٧ . كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع ، حديث رقم (٤٨٢) .

(*) صفوة الآثار ٤ / ١٢٤ .

العبد من ربه وهو ساجد » . فإذا تمخض من هذا المعنى في هذه الآية عظمة السجود إلى منتهى الحد ؛ إذ هو أخص الطاعات ، والمقدم والمعظم في الصلاة التي هي مقدمة على سائر الطاعات وهذه دلالة واضحة على شرف السجود وعظيم منزلته عند الله سبحانه وتعالى .

قال المناوي في فيض القدير : « وذلك لأن العبد في حالة السجود يكون في تمام الذلة والخضوع لله سبحانه وتعالى ، وإذا عرف العبد نفسه بالذلة والافتقار عرف أن ربه هو العلي الكبير المتكبر الجبار ، فالسجود لذلك مظنة الإجابة »[١] .

وكل العبادة مدارها أن يتحقق الإنسان بمقام العبودية ، ويعرف قدر نفسه ، ويعرف عظمة الله جل وعلا ، ثم يعرف أنه مفتقر إلى الله سبحانه وتعالى وأن كل

---

(١) فيض القدير ٢ / ٦٨ ، حديث رقم (١٣٤٨) .

نقص فيه يقابله كمال مطلق للحق جل وعلا ، كما ذُكر :
« ركبت من العجز لتنظر إلى كمال قدرة الله سبحانه وتعالى ومن الفقر لتنظر إلى كمال غنى الله سبحانه وتعالى ، ومن الضعف لتنظر إلى كمال قوة الله سبحانه وتعالى » ، فكل ضعف ونقص في المخلوق يقابله عظمة مطلقة متناهية لا حد لها ولا يمكن أن يحاط بها بالنسبة للخالق سبحانه وتعالى ، وحينئذ لما كان السجود هو الأعظم في الدلالة على ذلة العبد وعظمة الرب ثم بيان الافتقار من هذا العبد لربه ومولاه كان له هذا المعنى العظيم .

* * *

منزلة القرب في السجود

هذه الوقفة مع السجود والقرب من الله تعالى فالله جل وعلا يقول لنبيه ﷺ ﴿ **كلا لا تطعه واسجد واقترب** ﴾(١١) ، وتأمل هذه الآية على قلة كلماتها ووجازة ألفاظها كم فيها من الدلالة على سر الصراع في هذه الحياة الدنيا ، وخلاصة العبودية بالنسبة للإنسان ، إذ أن الآية تأتي في أعقاب الحديث عن الذي ينهى المؤمنين عن العبادة لله : ﴿ **أرأيت الذي ينهى . عبداً إذا صلى** ﴾(١٢) ، وهو المعنى الذي فيه

---

(١١) العلق : ١٩ .

(١٢) العلق : ٩ ـ ١٠ .

صراع الباطل للحق وتضييق أهل الضلال على أهل الخير ، ونوع المواجهة والمحاربة لكل صورة إيمانية ولكل عبادة يتقرب بها الناس لله سبحانه وتعالى فهنا تأتي المفاصلة ﴿ **كلاَّ لاَ تُطِعْهُ** ﴾ « يعني لا تطعه فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها وصلّ حيث شئت ولا تباله فإن الله حافظك وناصرك وهو يعصمك من الناس »[*] ، وفي الآية بيان لكيفية الحصول على القدرة على المواجهة والمجابهة لهذا السيل الجارف العارم من العداء والإيذاء ؟ إنه الاستمساك بالعبادة والاستعانة بهذا السجود كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿ **ياأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة** ﴾[١٣] ، وفي هذه الآية جعل السجود نوعاً من المدافعة لهذا البغي والباطل والصبر والمصابرة على أمر الله ، ثم تأمل ثانية : ﴿ **كلا لا تطعه واسجد واقترب** ﴾ ، أي اقترب من الله فكأن السجود مرادٌ ومقصودٌ ليحصل للعبد القرب من الله عز وجل .

(*) تفسير القرآن العظيم . ٤/ ٨٣٩ .

(١٣) البقرة : ١٥٣ .

وقـد أخـرج الإمام مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء »[١٤] .

وتأمل أيضاً هدي النبي ﷺ حينما علمنا الذكر الذي يقـال في السجـود ، في ذلـك الموضع الذي يمرغ فيه الإنسان جبهته في التراب ويحني جسمه كله ، ويخضع قلباً وقالباً (روحاً وجسداً) يقول حينئذ : « سبحان ربي الأعـلى » وهـو في المقام الأدنى حساً يقول سبحان ربي الأعـلى ، وهذا جزء أساسي من فقه السجود يربط بين الصـورة الحسية والـدلالة المعنوية للعبادة في ذلة العبد وعظمة الرب ، وافتقار العبد للرب ، وهنا يثور تساؤل لا بد من توضيحـه وهـو لماذا يكـون السجود الموضع

---

(١٤) سبق تخريجه .

الذي يكون فيه العبد في أقرب منزلة من الرب؟.

وللجواب على هذا السؤال يمكن أن نجمل عدة أسباب لاختصاص السجود بالقرب وبعض هذه الأسباب تشير إليه النصوص وبعضها معانٍ مستنبطة من صورة هذا السجود :

١ ـ هو أن السجود أبلغ صورة للذلة لله سبحانه وتعالى، ولا يسمى الإنسان عبداً، ولا يكون الناس عبيداً إلا بهذه الذلة والعبودية إنما هي الذلة والخضوع لله عز وجل، وعندها يحق للإنسان أن يأخذ وصف العبودية ، ولكن العبودية مراتب ، وبمقدار تحقق الذلة تتحقق أهلية الإنسان لوصف العبودية واسم العبد ، فبقدر ما يذل وبقدر ما تكون صورة الذلة لله عظيمة وكبيرة بقدر ما يتحقق فيه معنى العبودية لله سبحانه وتعالى ، فإذا عرفنا أن العبودية هي أعلى مراتب هذا الإنسان المؤمن في هذه الحياة ظهر لنا سر اختصاص

السجود بالقرب . وتأمل قوله سبحانه وتعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ﴾[١٥] .

هذا المقام الذي ارتقى فيه النبي ﷺ في معراجه من الأرض إلى السماء الأولى والثانية والثالثة والرابعة إلى السابعة وبلغ مقاماً لم يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل نال هذا المقام السامي لأنه وصل إلى أعلى مقامات العبودية والذلة لله عز وجل فهو ﷺ أعبد الناس لله وأذلهم له ، وأكثرهم معرفة بعظمته ، وأشدهم افتقاراً إليه سبحانه وتعالى ، ولهذا المعنى وصف بالعبودية لأنها هي الشرف والشارة التي نال بها هذا السمو ، ونال هذه الرفعة عند الله سبحانه وتعالى معنى وحساً ، معنى لأن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾[١٦] ،

---

(١٥) الإسراء : ١ .

(١٦) الشرح : ٤ .

فهو مذكور مع الله عز وجل ، وحساً لأنه صعد إلى السماء في رحلة المعراج التي ورد لها وصف عظيم في أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ .

ومن وجهة أخرى ذكرت العبودية هنا لئلا يخرج المبالغون والخارجون عن حد الاعتدال فيخرج بهذا الفعل والعظمة والشرف للرسول ﷺ يخرج به لهذا السبب عن حد بشريته ، ويدخلون في دائرة التأليه أو العبودية له كما حصل من الأمم السابقة ، فلذلك سمي عبداً لتأكيد عبوديته لله سبحانه وتعالى وأن هذا الشرف إنما ناله بهذه العبودية .

ومما زادني شرفاً وتيهاً
وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي
وأن صيرت أحمد لي نبياً

فالعبودية هي الشرف الذي يرقى به العبد عند الله

سبحانه وتعالى ، فلما كان السجود هو أبلغ صور الذلة التي هي خلاصة العبودية كان لهذا هو أعلى مقام للقرب من الله سبحانه وتعالى .

٢ ـ الأمر الثاني من الدلالات المعنوية أن في السجود التصاقاً بالأرض يتذكر به العبد البداية والنهاية، لأن الإنسان في سجوده يمرغ جبهته بالتراب فيتذكر أن أصل خلقته من التراب وأنه عائد إلى هذا التراب ، وأن الله سبحانه وتعالى خلقه ابتداء من هذا التراب وأنه يبعثه يوم القيامة للنشر والحساب ، وهذا المعنى يتجسد بأبلغ ما يكون وأقوى ما يكون في هذا السجود ، قد يقول القائل حينما يكون الإنسان نائماً يكون أكثر التصاقاً ولكنه لا يكون ذلك الالتصاق الواعي العاقل الذي يبصر فيه بعينه ويدرك بعقله ويتكلم بلسانه ويكون في هيئة مقصودة لذاتها كما سيأتي ، ولمّا كان هذا المعنى يتجسد في السجود فإنه يذكر الإنسان بحقيقته وحقيقة نهايته ،

وهذا يكون أوقر للإيمان في القلب ، وأكثر تذكيراً للعبد بالآخرة وبالوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى ، فيحصل له من الإيمان والتذكر والخشوع ما يكون به أقرب إلى مقام القرب إلى الله سبحانه وتعالى ، والتذكير بالتراب الذي هو أصل الخلقة باعث على الذل والتواضع وقد قال أبو العلاء المعري :

خفف الوطء ما أظن أديم
الأرض إلا من هذه الأجساد

هذا الذي يمشي متكبراً نقول له على مهلك خفف الوطأة فإن أديم الأرض من هذه الأجساد ، من هذا التراب ، وغداً تكون تراباً وتُوطأ بالأقدام ، فالإنسان لا يجنح عن حقيقة عبوديته إلا عند غفلته عن حقيقة بدئه ونهايته ، ولذا كان مطرف بن الشخير ـ رحمه الله ـ يقول في شأن المتكبرين والمتغطرسين : يا ابن آدم هل أنت في أولك إلا نطفة مذرة ، وفي آخرك جيفة قذرة ، وأنت فيما

بينهـا تحمل العذرة[١] ، فلا يتكبر الإنسان ويطغى إلا حينـما يغفـل عن هذه الحقيقـة ، والسجود هو التذكير الأقوى والأبلغ والأعظم بهذه الحقيقة لملامسته لهذه الأرض ولهذا التراب فيتذكر كل هذه المعاني ، ويتحقق بجميع تلك الآثار .

٣ ـ الأمـر الثـالث أن الـسجود بهيئته صارف عن رؤية الـدنيا وفتنتهـا ، فالإنسـان حينما يسجد يكون نظره في سجوده إلى هذه القطعة والرقعة الصغيرة في الأرض لا يرى من الـدنيا سواهـا فيتـذكـر مقـدار الدنيا بالنسبة للآخـرة ، ويدرك دلالـة حديث رسول الله ﷺ : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء »[٢] .

وعندما يكون الساجد على هذه الهيئة ، وهو عابد لله

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٣٤٠ .

(٢) أخرجه الترمذي في السنن ٤/ ٤٨٥ ، كتاب الزهد ، باب ما جاء في هوان الدنيا ، الحديث (٢٣٢٢) .

مسبح باسم ربه الأعلى عند ذلك يجتمع الأمران معاً معرفة بضآلة الدنيا واستشعار لعظمة العبودية ، ويعلم أنه لا ينبغي ألا يزيد مقدار الدنيا عن مقدار ما يراه في سجوده وحينئذ لا ينصرف قلبه إلى بهرجها ، ولا تميل نفسه إلا زينتها ، ولا تخطف بأضوائها بصره وبصيرته فينصرف عن حقيقة عبوديته لله سبحانه وتعالى ، فهيئة السجود تجعل الإنسان يستشعر أن الدنيا ليست كما تسول له نفسه ، أو يزين له شيطانه بأن فيها من المتاع والخيرات والملذات والشهوات ما يستحق أن يبذل لها من وقته وجهده وفكره فالسجود يصحح هذا الوهم الخاطىء ، ويعلق المسلم بما عند الله سبحانه وتعالى في أعلى عليين فإنه يأنف من عبودية الدنيا ويرتفع عن تعلقه بها وهذا المعنى عندما يستحضره العبد المؤمن يكون أقرب إلى الله سبحانه وتعالى .

٤ ـ الأمر الرابع : عدم التفات المسلم في سجوده، إذ

في أثناء قيامه في الصلاة قد يلفت نظره شيء من الدنيا أو يرى الأشخاص أو الذوات ، وكذا في ركوعه قد يقع بعض ذلك ، أما في سجوده فلا يحصل شيء من هذا أبداً فلا يرى شيئاً من الدنيا ، ولا يبصر أحداً من أهلها ، فكأنما انصرف عن كل شيء وعن كل بشر وتجرد من كل نفع ومن كل ضر وتبرأ من كل حول ومن كل طول ولم يبق له نظر إلا إلى الله سبحانه وتعالى به يعلق قلبه، وبذكره يرطب لسانه ، ومنه يرجو الإعانة وله يخلص النية ، ويكون أكمل تجرداً لله ، وأعظم بعداً عن الالتفات لغير الله ، وإذا تجرد العبد من أن يكون ركونه إلى الدنيا فتنة وحباً ، وإلى من فيها رجاء وخوفاً أو طلب ضر أو نفع تحقق بكمال العبودية ، وعلم أنه لا تعلق له إلا بالله سبحانه وتعالى وتيقن أنه لا منجا ولا ملجأ له من الله سبحانه وتعالى كما قال جل وعلا : ﴿ ففروا إلى الله ﴾[١٨] ، ومعلوم أن كل شيء تخافه تفر منه إلا الله

---

(١٨) الذاريات : ٥٠ .

عز وجل إذا خفت منه فررت إليه وهذا معنى قوله ﷺ : « لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك »[١٩] ، ولذا كان السجود موضع قرب من الله لأن فيه كمالاً في التجرد لله .

٥ ـ الأمر الخامس : هو أن السجود فيه مشاركة لمعظم الأعضاء ، إذ أن الإنسان في وقوفه أو في ركوعه يستخدم بعض الأعضاء ولكن في سجوده يكون على هذه الأرض بيديه وقدميه وركبتيه وجبهته وأنفه فهذا كله دليل على أنه كله لله سبحانه وتعالى وعلى أن كل حواسه ينبغي أن تكون لله عز وجل وفق أمر الله فبصره ويديه ورجليه وكل شيء يذكره بأنه خاضعٌ لله سبحانه وتعالى ، فلا ينبغي أن يسجد ثم ينظر إلى المحرمات بعينيه ، أو يعتدي على الحرمات بيديه ، أو يمشي إلى المنكرات برجليه ولا ينبغي كذلك أن يخضع للشهوات

---

(١٩) البخاري (فتح الباري) ١١/ ١١٧ ، كتاب الدعوات ، باب ما يقول إذا نام ، حديث رقم (٦٣١٣) .

والملذات ، وهـذا المعنى عنـدمـا يتحقق للمتـأمـل في السجود ومعانيه يكون أكثر حرصاً على الطاعة ، وأكثر بعداً عن المعصية وهذا من أسباب قرب العبد من ربه ومولاه .

٦ ـ الأمـر السـادس هو أن السجـود يفـرق ما بين الإنســان والشيطان ، إذ هو في الحقيقـة مراغمـة لهذا الشيطان ، ودحـرله ، لأن الشيطان أمـر بالسجـود فأبى ، وكـان ذلك سبب حلول لعنـة الله عليه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليهـا ثم يكـون له العقـاب في الآخرة ، وأما الذي ينأى بنفسه ويسجد استجابة لأمر الله سبحـانه وتعالى فإنه حينئذ يكون متحققاً بالعبودية معلنـاً مراغمتـه وخصـومته للشيطان ، ولما كان عقاب إبليس عنـد امتنـاعـه من السـجـود طرد من رحمة الله وإبعاد ، فعندما تسجد لله يكون العكس تعرُّض لرحمة الله واقتراب .

ومتى استطاع الإنسان أن يتحرر من الدنيا وفتنتها ، ومن الأشخـاص والاتكـال عليهم أو الالتجـاء إليهم والالتفات لهم ، وكذلك من الأعضاء وصيرورتها في غير رضى الله سبحـانـه وتعـالى ، ثم نأى بنفسه عن سبل الشيطان وإغوائه وإغرائه ، ورفع شعار المحادة والمفاصلة بينـه وبين إبليس اللعين ، ذاك عصى الله وأنت تعلن طاعة الله سبحانه وتعالى فكم يكون قد حاز من أسباب الفـلاح؟ وحصـل من أسباب زيادة الإيمان ؟ ونال من رضى الرحمن ؟

ولا شك حينئذ أننا أدركنا أن السجود أسمى مقامات العبد ، وهذا فقه قول النبي ﷺ (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)[٢٠] .

٧ ـ ومن الدلالات المعنوية وهو الأمر السابع : تذكر

---

(٢٠) سبق تخريجه .

سجود الدنيا وسجود الآخرة والفرق بين المؤمن الساجد، والكافر الجاحد . العبد المؤمن دعي للسجود في الدنيا فسجد والكافرون دعوا فأبوا أن يسجدوا ، ويوم القيامة يتمنون السجود فيحرمون ويمنعون ولا يقع منهم السجود مع إرادتهم له ورغبتهم فيه لأن ظهورهم تصير طبقاً واحداً فلا يستطيع الواحد منهم أن يحني ظهره ليسجد ، وهذا هو ما ذكره أهل التفسير عند بيان معنى قوله تعالى : ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ﴾[٢١] ، أي يحال بينهم وبين ما يريدون ، فهو يوم القيامة الذي يكشف فيه عن الساق ويشتد الكرب والضيق ، ويدعى هؤلاء المتكبرون إلى السجود فلا يملكون السجود ، إما لأن وقته قد فات ، وإما لأنهم كما وصفهم في موضع آخر يكونون :

---

(٢١) القلم : ٤٢ .

﴿ مُهطعين مُقنعي رؤوسهم ﴾ وكأن أجسامهم وأعصابهم مشدودة من الهول على غير إرادة منهم ، وعلى أية حال فهو تعبير يشي بالكرب والعجز والتحدي المخيف[1] .

قال ﷺ : « يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رئاء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً »[2] . فإذا تذكر العبد المؤمن هذا المقام أيضاً فإنه يرى أن مسابقته للسجود نوع نجاة وخلاص من هذا المقام العصيب وذلك الموقف الرهيب ونوع تقرب لله العظيم لينجيه من العذاب الأليم ، ولذا كان الساجد أقرب ما يكون من الله .

ومن وجه آخر فإن السجود كما أنه في الدنيا أعظم عبادة وقربة ، تكون هيئته بما فيها من الانكباب ،

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٦٦٧ .

(٢) البخاري (فتح الباري) ٨/ ٥٣١ ، كتاب التفسير ، سورة (ن والقلم) ، باب (يوم يكشف عن ساق) ، حديث رقم (٤٩١٩) .

وخضوع الاعناق ، وذلة الجباه هي أعظم صورة للعذاب مع الإهـانـة لمن أعـرضـوا واستكـبروا ، ولم يسجـدوا ويخضعوا ، ولقد ذكر الله ذلك في سياق وصف عذاب إبـليس ومـن معـه فقـال : ﴿ فكـبكبـوا فيهـا هم والغـاوون ﴾[٢٢] وكـذا في قول الله سبحـانه وتعالى : ﴿ فكبت وجوههم في النار ﴾[٢٣] . وكذا في حديث معاذ رضي الله عنه لما قال له النبي ﷺ : «ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على وجوههم أو على مناخرهم في النار إلا حصـائد ألسنتهم »[٢٤] ، نعم إن أشد وأبلغ أنواع العـذاب قسوة وإهانة هي أن يكب الجاحد على وجهه في النار لأنه أعرض عن الطاعة، وأما الساجد الذي قد كب وجهه في الدنيا ذلة لله سبحانه وتعالى واعترافاً بعظمته وسؤالاً لما عنده من الخير ورجاء لدفع العذاب عنه فإنه ينجو من هذا العذاب ، واستحضار هذا المعنى يجعل

(٢٢) الشعراء : ٩٤ .

(٢٣) النمل : ٩٠ .

(٢٤) سنن الترمذي ٥ / ١٣ ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء في حرمة الصلاة ، حديث رقم [٢٦١٦] .

المسلم يدرك أن السجود وقاية وحماية ، ولهذا المعنى كان السجود رفعة للعبد وقرباً من الرب .

فالذي يتأمل السجود (موضع القرب والقربة) ينبغي ألا تفوته هذه المعاني ، وأن يدرك أن هذه المعاني كلها إذا استحضرها العبد المؤمن في قلبه مع تسبيحه لربه كان في قمة العبودية الخاضعة الخالصة ولذا كان السجود موضعاً للدعاء والسؤال من الله سبحانه وتعالى ، نعم هو موضع الدعاء الأكبر والأعظم في الصلاة لأنه هو مقام القرب ، فإذا كنت قريباً كنت مؤهلاً أن تقدم دعاءً ذليلاً ، وأنت ملتصق بالأرض ، ذاكراً لفضل الله عليك بالإبتداء ومتذكراً للفناء والانتهاء ، مع كونك لا ترى الدنيا ، ولا تتعلق بالأشخاص ولا ترى لأعضائك وحواسك شيئاً إلا أن تكون لله ، ثم تنأى بنفسك عن الشيطان ، ثم تذكر عقاب الله ، كل هذه المعاني تجعلك في مقام وهيئة هي التي يحبها الله سبحانه وتعالى ويرضاها إذ هو جل وعلا يحب من عباده المبالغة في العبودية والذلة والتضرع والسؤال له سبحانه وتعالى .



الكــون والســجود

حينـما يتـأمل الإنسان في هذا السجود فإنه يجد أن الكون كله ساجـد بمعنى ذلته وخضوعه لله سبحانه وتعالى وانقياده وصيرورته وفق حكم الله ، وجريان أمره جل وعلا فيه ولذا فإنه بهذا المعنى ساجد لله عز وجل، ثم هو ساجـد بالمعنى الحقيقي لأن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ **ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمـر والنجوم والجبال والشجـر والـدواب وكثـير من الـنـاس وكثـير حق عليـه العـذاب** ﴾[١] ، فتأمـل كل هذا الكـون ساجـد لا يتخلف عنه أحد إلا صنف هذا الإنسان منه قسم ساجد

---

(١) الحج : ١٨ .

وقسم معرض جاحد ، فيكون هذا الذي نأى عن السجود شاذاً عن الكون مثل الإنسان الذي يكون في جمع كلهم على هيئة واحدة وفي لباس واحد ثم يكون هو الشاذ من بينهم ، هذا الإنسان الجحود الكنود لله سبحانه وتعالى هو الشاذ المختلف وهو المنفرد عن كل الكون ثم تفرده ـ عياذاً بالله ـ في بعده واستكباره عن عبادة الله سبحانه وتعالى ، فيتأمل العبد أنه حينما يسجد لله عز وجل يكون عبارة عن جزء من هذا الكون المسبح بحمد الله الساجد لله سبحانه وتعالى كما ورد في تفسير قول الله سبحانه وتعالى في سورة يس ﴿ **والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم** ﴾[٢٦] ، ذكر ابن كثير في معاني هذه الآية أن الشمس عند مغيبها وعند كل مغيب تسجد لله سبحانه وتعالى في مواجهة العرش[٢٧] ،

---

(٢٦) يس : ٣٨ .

(٢٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٣/ ٩١٠.

وهذا ما ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي ذر[٢٨] .

بعض النـاس يقـول كيف يكـون هذا السجـود؟ وأقول : هو سجود بلسان الحال وكذلك بلسان المقال ، أي بالمعنى والفعل ولا عجب ولا استغراب إذ كل سجود له عند الله سبحانه وتعالى الهيئة التي يعلمها ولا نعلمها كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ والنجم والشجر يسجدان ﴾[٢٩] .

وكـذلـك نجـد أن الله سبحـانـه وتعالى يلفت نظر الكـافرين المعرضين عن أمره ، ويقيم عليهم الحجة ، وذلك في قوله : ﴿ ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال ﴾[٣٠] ، ومعنى

---

(٢٨) البخاري (فتح الباري) ٦ / ٣٤٢ ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة الشمس والقمر ، حديث رقم (٣١٩٩) .

(٢٩) الرحمن : ٦ .

(٣٠) الرعد : ١٥ .

هذه الآية أن الذي ينأى عن السجود باختياره فإنه مع ذلك ساجد لله بظلاله رغماً عنه وهو رغماً عنه خاضع ذليل لقدرة الله في أمر خلقه وطبيعة نفسه ، فلو كان عاقلاً لجمع بين الأمرين بين ما هو مقهور فيه وبين ما هو مخير فيه ، قبل أن يأتي الوقت الذي يتمنى فيه السجود فلا يستطيع .

معنى قوله « وظلالهم » أي ظلال أجسامهم في الأرض ساجدة لله سبحانه وتعالى ، فالله سبحانه وتعالى يبين أن الكون كله ساجد حتى الذي يُعرض يسجد بظلاله لله سبحانه وتعالى فالأولى له إن كان عاقلاً مفكراً في أمر نفسه أن يكون ساجداً بقلبه وبهيئته كما أمره الله سبحانه وتعالى[٣١] .

---

(٣١) تفسير القرآن العظيم ٢ / ٧٨٥ .

هيئة السجود وفضله

هذه بعض الـوقفـات الموجزة مع السجود فيما يتعلق بهيئته وفيما يتصل بفضيلته .

أما الهيئة والصورة المثلى فمما ورد عن رسولنا ﷺ إضافة إلى بعض ما أثر عن الصحابة يمكن أن نلخص ما يتعلق بهيئة السجود وصورته في النقاط التالية :

١ ـ السجود على سبعة أعظم : وهي اليدين والرجلين والركبتين والجبهة مع الأنف .

٢ ـ طول السجود : من المستحب إطالة السجود لأنه ـ كما مر ـ موضع القرب والدعاء .

والخلاف قائم بين العلماء أيهما أفضل : طول القيام أم طول السجود ؟ وهذا الخلاف أكثره فيما يتصل بصلاة النافلة .

لماذا هذا الخلاف ؟ تأملوا لتدركوا أنه ليست كل القضايا هي خلافات فقهية ، وأحكام مجردة ، إنما هناك المعاني الإيمانية والدلالات المعنوية التي لها أثر كبير ، وهنا قال بعض أهل العلم : إن القيام فيه تلاوة القرآن وهي أعظم شيء من ذكر الله سبحانه وتعالى ، والذكر أعظم شيء في مناجاة الله سبحانه وتعالى ، ومن أحب أن يكلم الله سبحانه وتعالى كفاحاً فليقرأ القرآن ، وفي القرآن وصف الله وبيان عظمته ، وشواهد قدرته ، ودلائل وحدانيته ، وفيه أمره ونهيه ووعده ووعيده ، فالزيادة في القيام زيادة في التلاوة ، وزيادتها فيها لله تعظيم ، وفيها للعبد تعليم ، وبها إحياء القلوب ، وتذكير العقول ، وتشويق النفوس إلى النعيم وتخويفها من الجحيم ولكل هذا فالقيام وطوله أفضل .

وقال الآخرون : السجود فيه القرب من الله تعالى ، والتسبيح بعظمته ، والدعاء له ، وفيه انقياد العبد لمولاه ، ومخالفته لإبليس الذي عصاه فلذا طول

السجود أفضل . فتنازعوا من حيث المعنى الإيماني المرتبط بتعظيم الله سبحانه وتعالى والذلة له عز وجل فقال بعضهم بهذا وبعضهم بهذا ، وقد رجح ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد أن طول القنوت أي القيام أولى من طول السجود[٣٢] .

وما ذكرت هذه المسألة إلا لأبين أن العبادة حينما يستشعر الإنسان لذتها وحلاوتها وحين يقبل عليها بكمال خشوعها فإنه حينئذ يكون بغير شعور مطولاً لقيامها وسجودها ، ولذلك وصفت عائشة رضي الله عنها في الصحيح قيام النبي ﷺ فقالت : « يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع راسه »[٣٣] .

٣ ـ كيفية السجود : ليست القضية هي طول السجود كيفما اتفق ، كلا ، فهناك بعض الناس في السجود يفترش ذراعيه ويجعل بطنه ملتصقاً بفخذيه .

(٣٢) زاد المعاد ١ / ٢٣٥ .
(٣٣) البخاري (فتح الباري) ٣ / ١١ ، كتاب التهجد : باب طول السجود في قيام الليل . حديث رقم (١١٢٣) .

فإذا سجد بهذه الهيئة يكون السجود له راحة كأنه شبه مضطجع أو شبه نائم فيطيل السجود ما شاء الله له أن يطيل ، كلا ليس هذا هو المقصود بل المقصود أن يأتي بالسجود على هيئته الصحيحة ثم يطيل هذا السجود فلا يطيله حينئذ لأنه راحة يتخلص بها من تعب الوقوف .

عن أنس عن النبي ﷺ قال : « اعتدلوا في السجود ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب »(١)

عن عبد الله بن بحينة أن النبي ﷺ كان إذا صلى فرج بين يديه جتى يبدو بياض إبطيه(٢) .

وحقيقة المقصود بطول السجود هنا هو أن الإنسان إذا أقبل على الله بكليته واستحضر هذه المعاني الإيمانية فإنه سيجد لذة عجيبة في المناجاة تجعله يطيل هذا السجود ، بدون شعور بعناء ، وقد روي أن عبد الله بن الزبير رضي

---

(١) صحيح مسلم (شرح النووي) ٤/ ٢٧٩ ، كتاب الصلاة ، باب الاعتدال في السجود . . . ، حديث رقم (٤٩٣) .

(٢) صحيح مسلم (شرح النووي) ٤/ ٢٨٠ ، كتاب الصلاة ، باب ما يجمع صفة الصلاة ، حديث رقم (٤٩٥) .

الله عنه كان إذا سجد جاءت الطير فوقعت ووقفت عليه كأنه حائط أو كأنه صخرة ثابتة لا تتحرك .

وهنا أمران أحدهما أنه كان ساكناً لا يتحرك وثانيهما أنه كان مطيلاً للسجود ، إذ لو كان سجوده طويلاً مع الحركة ، أو كان سجوده قصيراً ولو دون حركة ، لما استقر الطير عليه ، ولا شك أن خشوع الجوارح من خشوع القلب ، عن علي رضي الله عنه : الخشوع خشوع القلب . وقال الحسن البصري : كان خشوعهم في قلوبهم فغضوا بذلك أبصارهم وخفضوا الجناح(*) .

والمندوب في السجود أن يكون السجود طويلاً ولا يكون طويلاً إلا مع الأذكار والأدعية المأثورة .

(*) تفسير القرآن العظيم ، ٣/ ٣٨٢ .

الذكــر والدعــاء

من المستحب الإكثار من الدعاء في السجود لما ذكرناه من معنى القرب ، ولأن النبي ﷺ أكثر ما ورد في دعائه في الصلاة إنما هو في السجود ، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله[٣٥] سبعة مواضع للدعاء في الصلاة وآكدها وأكثرها وروداً لأدعية النبي ﷺ هو السجود .

وللسجـود اختصـاص بالدعاء تميز به عن غيره من مواضـع وهيئـات الصـلاة ولـذا فقـد ورد في الحـديث الصحيح : « أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له . ألا وإني نهيت

---

(٣٥) زاد المعاد ١/ ٢٥٦ .

أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً ، فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن(*) أن يستجاب لكم »[٣٦] . أي أن الدعاء في السجود جدير أن يستجاب للمعاني التي ذكرناها من ذلة العبد لله ومعرفته لنفسه ومعرفته لربه إلى آخر ما سبق الإشارة إليه .

---

(٣٦) مسلم (شرح النووي) ٤/ ٢٦٢ ، كتاب الصلاة ، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود ، حديث رقم (٤٧٩) .

(*) قمن خليق وجدير بفتح الميم وكسرها . النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ١١١

أدعيـــة الســـجود

وردت أدعية كثيرة عن النبي ﷺ في سجـوده وهي متناسبـة مع الـذكر المشـروع (سـبحان ربي الأعلى) الـذي ذكـرنـا مناسبته العجيبة إذ في هذا المقام الأدنى حسـاً ، يسبح باسم ربه الأعلى ، وكذلك جاءت الأذكار والأدعية المأثورة في السـجود ومنها :

١ ـ حديث عائشـــة أن النبي ﷺ كان يقــول : « سبوح قدوس رب الملائكة والروح »[٣٧] ، وهذا أيضا تسبيح وتقديس وإشعار للعبد بأنه يسجد للعظيم رب

(٣٧) مسـلم (شرح النووي) ٤/ ٢٧٢ ، كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود . حديث رقم (٤٨٧) .

الملائكة والروح (جبريل عليه السلام) والملائكة كما قال تعالى : ﴿ يسبحون الليل والنهار لايفترون ﴾[٣٨] ، فأنت أيها الساجد تسبح ربك الأعلى وأنت في المقام الأدنى فيتوافق تسبيحك مع تسبيح الملائكة في الملأ الأعلى ، فتستشعر الموافقة لهذه المخلوقات النورانية في العبودية لله وبالأخص في تسبيحه الذي يتردد في أرجاء الكون: ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾[٣٩] ، وتستشعر أن العبادة وسجودها يرقى بك إلى الملأ الأعلى، ويغلب الجانب الروحاني فيك على الجانب الجسماني .

وعند التأمل نجد كثيراً من الآيات القرآنية قرنت بين السجود والتسبيح فآية السجدة قال الله فيها : ﴿ إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا

(٣٨) الأنبياء : ٢٠ .
(٣٩) الإسراء : ٤٤ .

بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ﴾[٤٠] ، فالسجود مع التسبيح دليل على العبودية وترك الاستكبار عن عبادة الله ، والسجود خضوع وذلة من العبد ، والتسبيح تعظيم يليق بكبرياء الحق سبحانه وتعالى ، وفي الآية تصوير يشير إلى أن العبد قد استحضر عظمة ربه فهوى وانكب على وجهه ساجداً ﴿ خروا سجداً ﴾ ، ثم عظم الله ونزهه ، ﴿ وسبحوا بحمد ربهم ﴾ فكان فعله وقوله شاهد على انسلاخه من التكبر على الله والتحلي بالذلة له .

٢ ـ ورد في الحديث عند مسلم أن النبي ﷺ كان يدعو في سجوده فيقول : «اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله وأوله وآخره وعلانيته وسره»[٤١]، فكيف ترى هذه الجوامع من

---

(٤٠) السجدة : ١٥ .

(٤١) مسلم (شرح النووي) ٤/ ٢٦٧ ، كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود ، حديث رقم (٤٨٣) .

الكلم ؟ إنها لم تدع ذنباً مما يستغفر منه إلا وذكر فيها على وجازتها ، وهذا الدعاء يناسب الإنسان وحاله في السجود ، وكونه يسأل ويطلب من رب الوجود ، في موضع وحال وعده فيها بالقبول وحصول المقصود ، فمثلاً لو قيل لك أن الوالي أو الأمير يفتح بابه في يوم كذا في ساعة معينة ، ثم يمكث ساعة من الزمن لا يمنع فيها أحدا من الدخول ولا يرد سائلاً ، فإن من الحكمة استغلال هذه الفرصة الثمينة ، وأن يكون السؤال والطلب عظيماً ما دام الوعد كبيراً .

ولما كان السجود موضع الإجابة والاستجابة كان من عظمة هدي النبي ﷺ أن جاء دعاؤه فيه جامعاً لأهم المهمات وهو غفران الذنوب بهذه الكلمات الجامعة التي لا يخرج منها ذنب إلا وهو ـ بإذن الله ـ مغفور ، فلا يبقى حينئذ ـ يعني للإنسان ـ مطلب أعظم من مثل هذا .

٣ ـ ورد عن عائشة أن النبي ﷺ كان يقول في

سجــوده : « اللهم ، أعــوذ برضــاك من سخـطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك »(١) .

٤ ـ وورد من حديث علي بن أبي طالب أنه قد كان من دعـائـه ﷺ في سجوده : « اللهم لك سجدت ، وبك آمنت ، ولــك أسلمت ، سجــد وجهي للذي خلقـه وصوره ، وشق سمعه وبصره ، تبارك الله أحسن الخالقين »(٢) .

٥ ـ وكـان ﷺ يقول في سجوده : « اللهم اجعل في قلبـي نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وفي بصري نوراً ، وعن يمـيني نوراً ، وعن شمالي نوراً ، وأمــامي نوراً ، وخلفي نوراً ، وفوقي نوراً ، وتحتي نوراً ، واجعل لي نوراً »(٣) .

---

(١) مسلم (شرح النووي) ٤/ ٢٧١ ، كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود ، حديث رقم ٤٨٦

(٢) مسلم (شرح النووي) ٦/ ٨٦ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، حديث رقم ٧٧١ .

(٣) مسلم (شرح النووي) ٦/ ٧١ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، حديث رقم ٧٦٣ .

وهذه الأذكار والأدعية من رحمة الله ومن تيسيره لأنها جامعة ووجيزة فحتى لو لم يطل سجودك فإن تسبيحه جل وعلا ثلاث مرات وهو أمر يسير لا يستغرق وقتاً طويلاً فيه من العظمة واستحضار المعاني ، وتعظيم الأمر شيء كثير وكذلك سائر ما أوردناه من الأذكار والأدعية ، ولذا كان الحرص على المأثور أفضل لأنه أجمع وأكمل .

البكـاء في السـجود

البكاء من صور الكمال في التأثر والانفعال في السجود وغـالب بكـاء المسلم في صلاتـه في موضعين ، موضع القيام وموضع السجود . أما في موضع القيام لما يتلوه أو يسمعــه من آيات القـرآن الكـريم التي فيهـا الـوعـد والـوعيد ، وذكـر الجنـة والنار ، فيخشع القلب وتدمع العـين ، وأما موضع السجود فإنه يذكره بانطراحه بين يدي الله سبحانه وتعالى ، وضعفه وقلة حيلته وينبهه إلى تقصيره في حق ربه جل وعلا ، ولذلك اقترن ذكر البكاء بالسجود كما في قوله عز وجل : ﴿ إذا تتلى عليهم آيات الـرحمن خروا سجداً وبكياً ﴾[٤٢] . فهم أتقياء شديدوا

---

(٤٢) مريم : ٥٨ .

الحساسية بالله ، ترتعش وجداناتهم حين تتلى عليهم آياته ، فلا تسعفهم الكلمات للتعبير عما يخالج مشاعرهم من تأثر ، فتفيض عيونهم بالدموع ويخرون سجداً وبكياً(١) . قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه سورة مريم فسجد وقال : هذا السجود ، فأين البكيّ(٢) .

وقوله جل وعلا : ﴿ **ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً** ﴾(٤٣) ، وهو مشهد موح يلمس الوجدان مشهد الذين أوتوا العلم من قبله ، وهم يسمعون القرآن ، فيخشعون و﴿ **ويخرون للأذقان سجداً** ﴾ إنهم لا يتمالكون أنفسهم ، فهم لا يسجدون ولكن ﴿ **يخرون للأذقان سجداً** ﴾ ثم تنطق ألسنتهم بما خالج مشاعرهم من إحساس بعظمة الله وصدق وعده : ﴿ **سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا** ﴾ ويغلبهم التأثر فلا تكفي الألفاظ في تصوير ما يجيش في صدورهم منه ، فإذا الدموع تنطلق معبرة عن ذلك التأثر الغامر الذي لا

(١) في ظلال القرآن ٤/ ٢٣١٤ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢٠٥

تصوره الألفاظ[1] ، فصفة الخشوع الكامل في هذا السجود أن يكون مقترناً بكمال الذلة والبكاء لله سبحانه وتعالى .

---

(١) في ظلال القرآن ٤/ ٢٢٥٤ .

الخوف والرجاء في السجود

من لوازم كمال السجود أن يكون العبد متقلباً بين الخوف والرجاء، إذ أنه سجد امتثالاً للأمر وخالف حال إبليس الذي أبى أن يسجد، ولم يكن ممن امتنع من السجود من الناس، فهو لهذا يرجو أن يكون في سجوده حصول رضى الله وأن يستجيب له دعاءه، وفي ذات الوقت يستحضر اللعنة التي حلت بإبليس، ويتذكر موقف الكافرين وعدم قدرتهم على السجود في الآخرة ويفكر في كب إبليس وأتباعه من الكافرين بل وبعض العاصين على وجوههم

في النار ، فيخشى غضب ربه ويخاف عذابه ، ولذا نرى في الآيات هذا الربط بين السجود والخوف والرجاء ، فعندما قال الله جل وعلا : ﴿ **إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون** ﴾(٤٥) ، جاء بعدها مباشرة ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً** ﴾(٤٦) ، وتأمل كذلك قول الله تعالى : ﴿ **أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه** ﴾(٤٧) ، إنه لا يخفي وجه الارتباط ذلك أن المؤمن العابد له من عظمة إيمانه ومعرفته بحق ربه ، وتفريطه في أمره ، ما يكون به خائفاً ، وله من حسن ظنه

---

(٤٥) السجدة : ١٥ .

(٤٦) السجدة : ١٦ .

(٤٧) الزمر : ٩ .

بربـه ومعـرفتـه بسعـة رحمته ما يجعله راجياً ، أما غير العـابـدين السـاجدين فهم في غيهم يعمهـون ولا يستشعرون مثل هذه المعاني ، ولذا كان من وصف عباد الرحمن ﴿ **والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً . والذين يقـولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً** ﴾ (٤٨)

---

(٤٨) الفرقان : ٦٤ ـ ٦٥ .

فضائل السجود وآثاره

إن تحقق تلك المعاني الإيمانية واللذة الروحانية يكفي المسلم العابد ، والمؤمن الساجد ، الذي غايته رضى الله ، ويرغب في السعادة والطمأنينة في الحياة ، ومع ذلك فإن فضل الله عظيم وعطاء الكريم جزيل ، ولذا فإنه جعل للسجود أعظم الأجر وأجزل الثواب وأنفع الثمار وأفضل الآثار ، ومنها :

١ ـ ورد عند مسلم من حديث ثوبان رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أنه جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال له أخبرني عن عمل يدخلني الجنة ؟ فسكت النبي ﷺ فأعاد الرجل قوله ثانية فسكت عليه الصلاة والسلام ،

فأعاد الرجل قوله ثالثة فسكت ثم قال له سمعت النبي ﷺ يقول : « عليك بالسجود فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة »[٤٩] .

كل سجدة ترفع بها درجة وتحط عنك بها خطيئة ، الله أكبر ما أعظمه من أجر ، فتأمل كم أنت مفرط في حق نفسك إذ لم تكثر من السجود لله سبحانه وتعالى .

٢ ـ السجود من أعظم أسباب الوقاية من عذاب النار وشاهد ذلك حديث ربيعة بن كعب لما سأل النبي ﷺ مرافقته في الجنة فكان جواب المصطفى عليه الصلاة والسلام له أنه قال : «فأعنّي على نفسك بكثرة السجود »[٥٠] ، وهذا يدل على أن السجود من أعظم المؤهلات لدخول الجنة وحصول رضوان الله تعالى .

---

(٤٩) مسلم (شرح النووي) ٤/ ٢٧٤ ، كتاب الصلاة ، باب فضل السجود والحث عليه ، حديث رقم (٤٨٨) .

(٥٠) مسلم (شرح النووي) ٤/ ٢٧٤ ، كتاب الصلاة ، باب فضل السجود والحث عليه ، حديث رقم (٤٨٩) .

٣ ـ في السجود نوع من تفريج الهم ، وتنفيس الكرب وحصـول انشراح الصدر ، وثبوت الإيمان في القلـب ، والمسلم عنـدمـا تتكـالب عليه الـدنيا بمشكـلاتها ومعضلاتها ، وتعترضه المحن وتحل به الابتلاءات يجد في العبادة والسجود عوناً على ذلك ومخرجاً منه ، ومما يدل على ذلك ما سبق ذكره من قوله تعالى : ﴿ **كلا لا تطعه واسجد واقترب** ﴾[٥١] ، وهو توجيه بالصد عن إعراض المعرضين وتكذيبهم والاستعانة على مواجهتهم بالطاعة والسجود ، وتأمل كذلك قوله تعالى : ﴿ **ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقـولون فسبح بحمد ربك وكن من السـاجـدين** ﴾[٥٢] ، وعنـدما أمر المصطفى ﷺ بقوله تعـالى : ﴿ **فاصـبر لحكم ربـك ولا تطع منهم آثماً أو كفورا** ﴾[٥٣] ، جاء بعد ذلك ما يدله على معين الصبر

---

(٥١) العلق : ١٩ .

(٥٢) الحجر : ٩٧ ـ ٩٨ .

(٥٣) الإنسان : ٢٤ .

ونبع الثبات ﴿ **واذكر ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً** ﴾[٥٤] ، ولهذا جاء الأمر للمؤمنين صريحاً واضحاً : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة** ﴾[٥٥] وكان هدي النبي ﷺ لذلك الأمر مطابقاً حيث كان إذا حزبه أمر صلى[١] .

إذا ضاقت عليك الدنيا فأقبل على الآخرة ، إذا وجدت عناء من شرار الخلق فإنك واجد فرجاً وفيض عطاء من الخالق ، وهذا المعنى مهم بالنسبة للمؤمن وللدعاة على وجه الخصوص لأنهم يلاقون الإعراض ويتعرضون للإيذاء ، فليعلموا أنه لا يثبتهم ولا يشرح صدورهم ولا يزيل غمهم وكربهم إلا هذه العبادة وهذا

---

(٥٤) الإنسان ٢٥ ـ ٢٦ .

(٥٥) البقرة : ١٥٣ .

(١) سنن أبي داود ٢ / ٧٨ ، كتاب الصلاة ، باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل ، حديث رقم (١٣١٩) .

السجود حينما ينطرح الواحد بين يدي الله فيلقي بأمره وهمه بين يدي الله ويلقي بما يَلقى من كيد الكائدين وإجرام المجرمين بين يدي مولاه فيدفع عنه لأنه وعد ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ﴾[٥٦] ، فيكون السجود أنساً له وكأن لسان حاله يقول « إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي »[١] .

هذا المعنى مهم جداً في حياة المؤمن وهو أعظم ثمار السجود وفي ظلاله نفهم معنى قوله عليه الصلاة والسلام : « يا بلال أرحنا بالصلاة »[٢] ، وقوله : « وجعلت قرة عيني في الصلاة »[٣] .

---

(١) الطبراني في الكبير عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، ورمز المناوي لحسنه فيض القدير ٢ / ١١٩ .
(٢) أبو داود ٥ / ٢٦٣ ، كتاب الأدب ، باب في صلاة العتمة ، حديث رقم (٤٩٨٥) و (٤٩٨٦) .
(٣) سنن النسائي ٧ / ٦١ ، كتاب عشرة النساء ، باب حب النساء ، حديث رقم (٣٩٣٩) .

(٥٦) الحج : ٣٨

٤ ـ من آثار هذا السجود وفيض خيره وبركته ما يشير إليه قول الله تعالى : ﴿ **سيماهم في وجوههم من أثر السجود** ﴾[٥٧] قال أهل العلم : هو الخشوع ، وقال بعضهم : هو نور الوجه ، وقال بعضهم هو أن لا يظهر على وجهه ما يظهر على العصاة من ظلمة وقتر وقتام كما أخبر الله عنهم : ﴿ **ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة** ﴾[*] . وهذا قد لا يفطن إليه الإنسان لكنه يراه عياذاً بالله فيمن يعرضون عن الطاعة ويتركون الصلاة ، فإذا وجوههم كالحة ، وعيونهم غائرة ، وقد يكون ذلك أحياناً يرى رؤية حسية وأحياناً يكون معنوياً حيث لا يكون لأولئك محبة في القلوب ، ولا قبول في النفوس ، كما يحرمون التوفيق .

٥ ـ ومن أعظم هذه الآثار والبركات والفضائل أن

---

(٥٧) الفتح : ٢٩ .

(*) الزمر : ٦٠ .

الساجدين المصلين يبعثون يوم القيامة غراً محجلين من آثار السجود كما ورد في الحديث الصحيح أنهم « يبعثون غراً محجلين »(*) أي منورين وجوههم مضيئة مشرقة من آثار هذا السجود لما سجدوا لله نور الله وجوههم وبيضها يوم القيامة ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾(٥٨) .

هذه جملة من المعاني أشرنا فيها إلى أهمية السجود وعظمته ، ثم أوضحنا ما يدل على كونه أسمى المقامات عند الله عز وجل ثم عرجنا على الدلالات المعنوية التي تفسر هذا القرب ، وبعد ذلك أوجزنا ما يتعلق بمندوبات السجود وختمنا ذلك بفضائل السجود وآثاره ، واستكمالاً لفقه السجود سنوجز ما يتعلق بالسجود من حيث الأحكام الفقهية .

(*) مسلم (شرح النووي) ، ٣/ ١٧١ ، كتاب الطهارة باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ، حديث رقم (٢٤٦) .

(٥٨) ال عمران : ١٠٦ .

سجود السهو

السهو: النسيان، والمقصود السجود الذي يشرع عند وقوع النسيان في الصلاة ، وجملة ما يترتب على النسيان ثلاثة أحوال :

١ ـ الزيادة في الصلاة من جنسها كأن يزيد ركعة أو سجدة أو نحو ذلك .

٢ ـ النقص في الصلاة كأن يسلم من الصلاة قبل تمامها أو ينسى واجباً كالتشهد الأول .

٣ ـ الشك في عدد الركعات أو في إتيانه بركن أو عدمه .

وقد وقع السهو من النبي ﷺ ليسن للأمة، ومدار الحكم في سجود السهو على هذه الوقائع :

١ ـ في الزيادة : روى الجماعة عن ابن مسعود أن النبي ﷺ صلى خمساً ، فقيل له : أزيدَ في الصلاة ؟ فقال : وما ذلك ؟ فقالوا صليت خمساً فسجد سجدتين بعدما سلم » ، وفي لفظ مسلم « فإذا زاد الرجل أو نقص فليسجد سجدتين »[1] .

٢ ـ في النقص : روى الشيخان حديث ذي اليدين لما صلى النبي ﷺ إحدى صلاتي العشاء ركعتين ثم سلم ، فقال ذو اليدين ؟ يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت ؟ قال : « لم أنس ولم تقصر ، فقال : أكما يقول ذو اليدين ؟ ، قالوا : نعم فتقدم فصلى ما ترك من

---

(١) مسلم (شرح النووي) ، ٥/ ٨٩ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب السهو في الصلاة والسجود له ، حديث رقم (٥٧٢) .



صلاته ثم سلم ثم سجد للسهو »[١].

ومن النقص ترك الواجب ومنه التشهد الأول كما ورد في حديث ابن بحينة « أن النبي ﷺ صلى فقام من الركعتين فسبحوا به فمضى ، فلما فرغ من صلاته سجد سجدتين ثم سلم »[٢] .

وهذه الحالة تتكرر كثيراً وحكمها أنه إذا سهى وقام واستتم قائماً لم يعد للتشهد الأول لأن الشروع في الركعة الثالثة ركن والتشهد الأول واجب ، فإن لم يستتم قائماً وتذكر عاد لحديث المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال : « إذا قام الإمام في الركعتين فإن ذكر قبل أن يستوي قائماً فليجلس فإن استوى قائماً فلا يجلس ويسجد سجدتي

---

(١) حديث ذي اليدين في صحيح مسلم (شرح النووي) ٥/ ٩٦، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب : السهو في الصلاة والسجود له ، حديث رقم (٥٧٣) .

(٢) مسلم (شرح النووي) ٥/ ٨٢ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب السهو في الصلاة والسجود له ، حديث رقم (٥٧٠) .

السهو»(١) .

٣ ـ في الشـك : جاء حديث عبد الرحمن بن عوف قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا سها أحدكم في صلاته فلم يدر واحدة صلى أو ثنتين فليبن على واحدة فإن لم يدر ثنتين صلى أو ثلاثاً فليبن على ثنتين فإن لم يدر ثلاثاً صلى أو أربعاً فليبن على ثلاث وليسجد سجدتين قبل أن يسلّم »(٢) .

وهذا الحديث فيه البناء على الأقل المتيقن ثم يكمل ويسجد ، وهناك قول بأنه يبني على اليقين ويترك الشك ودليل هذا القول :

ما رواه أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى ثلاثاً أو أربعاً فليطرح الشك وليبن على ما استيقن ثم يسجد

---

(١) سنن أبي داود ١ / ٦٢٩ ، كتاب الصلاة ، باب من نسي أن يتشهد وهو جالس ، حديث رقم (١٠٣٦) .

(٢) سنن الترمذي ٢ / ٢٤٥ ، أبواب الصلاة ، ما جاء في الرجل يصلي فيشك في الزيادة والنقصان ، حديث رقم (٣٩٨) .

سجدتين قبل أن يسلم ، فإن كان صلى صلاته خمساً وإن كان صلى إتماماً لأربع كانتا ترغيماً للشيطان »[1] .

وفي الشك قول ثالث أنه يبني على غالب ظنه ، ومستند هذا القول ما رواه مسلم عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب فليتم عليه ثم ليسجد سجدتين »[2] .

---

(١) مسلم (شرح النووي) ٥/ ٨٤ ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب السهو في الصلاة والسجود له ، حديث رقم (٥٧١) .

(٢) مسلم (شرح النووي) ، ٥/ ٨٥ ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب السهو في الصلاة والسجود له ، حديث رقم (٥٧٢) .

انظر العدة شرح العمدة وفقه السنة .

سجود التلاوة

من قرأ آية سجدة أو سمعها يستحب له أن يكبر ويسجد ، فعن نافع عن ابن عمر قال : « كان رسول الله ﷺ يقرأ علينا القرآن فإذا مرَّ بالسجدة كبر وسجد وسجدنا معه »[١] .

قال ابن القيم : « ومواضع السجدات أخبار وأوامر ، خبر من الله عن سجود مخلوقاته له ، عموماً أو خصوصاً ، فحسن للتالي والسامع أن يتشبه بهم عند تلاوة آية السجدة أو سماعها وآيات الأوامر بطريق الأَوْلَى »[٢] .

---

(١) سنن أبي داود ٢ / ١٢٦ ، كتاب الصلاة ، باب في الرجل يسمع السجدة وهو راكب أو في غير الصلاة ، حديث رقم (١٤١٣) .

(٢) حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع ٢ / ٢٣٤ .

فضلـــه :

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول : يا ويله أُمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأُمرت بالسجود فأبيت فلي النار»[٣] .

في الحديث : « ما من عبد يسجد سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة »[٤] .

حكمـــه :

الجمهور على أن سجود التلاوة سنة للقارىء والمستمع لما رواه البخاري عن عمر أنه قرأ على المنبر يوم الجمعة بسورة النحل حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد وسجد

---

(٣) مسلم (شرح النووي) ، ٢ / ٩٢ ، كتاب الإيمان ، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ، حديث رقم (٨٣) .

(٤) سبق تخريجه .

الناس حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها حتى إذا جاء السجدة قال : « يا أيها الناس إنَّا لم نمرّ بالسجود فمن سجد فقد أصاب ومن لم يسجد فلا إثم عليه » . وفي لفظ « إن الله لم يفرض السجود إلا أن نشاء »(٥) .

شروط صحة سجود التلاوة :

يشترط لصحة سجدة التلاوة ما يشترط لصحة الصلاة : من طهارة الحدث (وهي الوضوء والغسل)، وطهارة النجس (وهي طهارة البدن والثوب ومكان السجود والقيام والقعود)، وستر العورة واستقبال القبلة والنية . وهذه شروط متفق عليها واختلفوا فيما عداها .

قال الحنفية : لا يشترط لها التحريمة ونية تعين الوقت ، كما لا يشترط لها السلام كالصلاة .

---

(٥) البخاري (فتح الباري) ٢ / ٦٤٩ ، كتاب سجود القرآن ، من رأى أن الله عز وجل لم يوجب السجود ، حديث رقم (١٠٧٧) .

وقال المالكية : لا إحرام فيها ولا تسليم .

وقال الشافعية : يشترط مع النية تكبيرة الإحرام على الصحيح .

وقال الحنابلة : يزاد على الشروط المتفق عليها في المستمع شرطان :

أولاً : أن يصلح القارىء للإمامة : فلو سمع الآية من امرأة وغير آدمي كالببغاء وآلة التسجيل لا يسن له السجود .

ثانياً : أن يسجد القارىء : فإذا لم يسجد فلا يسن للمستمع .

أسباب سجدة التلاوة :

تتردد أسباب سجود التلاوة بين التلاوة لآية فيها سجدة أو سماع الآية أو الاستماع إليها ، والاستماع

يكون بقصد والسماع ليس كذلك ، ومذهب الجمهور أن الاستماع من أسباب السجود وأما السماع فليس سبباً ، وعدّه الحنفية سبباً ولم يفرقوا بين السماع والاستماع .

صفة سجود التلاوة :

هيئة سجود التلاوة مثل هيئة السجود المعهود في الصلاة ويكبر لها استحباباً عند الجمهور وعدَّ الشافعية هذه التكبيرة ركناً كأنها تكبيرة إحرام ، ويسبح مثل سجود الصلاة ويسن له أن يقول ما ورد في الحديث عن النبي ﷺ : «اللهم اكتب لي بها عندك أجراً، وضع عني بها وزراً، واجعلها لي عندك ذخراً، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود »[٦] ، ويرفع رأسه من السجود ويكبر استحباباً ، ولا تشهد بعدها ، وعند الحنفية لا تسليم لها وعند الشافعية السلام من أركانها ، والحنابلة أوجبوا التسليمة الأولى دون الثانية .

---

(٦) سنن الترمذي ٥/ ٤٥٦ ، كتاب الدعوات ، باب ما يقول في سجود القرآن ، حديث رقم (٣٤٢٤). انظر الفقه الإسلامي وأدلته .



سجود الشكر

ويكون سجود الشجر عند تجدد النعم واندفاع النقم ، ويكون ذلك مطلقاً سواء كانت خاصة أو عامة ، دينية أو دنيوية ظاهرة أو باطنة كتجدد ولد ، أو مال أو جاه أو نصرة على عدو ، أو غير ذلك من سائر النعم أو اندفاع النقم .

حكمه :

الجمهور على أن سجود الشكر مستحب(٧) لمن تجددت له نعمة تسره أو صرفت عنه نقمة ، فعن أبي

---

(٧) انظر الفقه الإسلامي وأدلته، ١ / ١٢٧

بكرة عن النبي ﷺ : « أنه كان إذا جاءه أمر سرور أو بشّر به خرّ ساجداً شاكراً لله »[١] .

وروى البيهقي بإسناد على شرط البخاري أنَّ علياً رضي الله عنه لمّا كتب إلى النبي ﷺ بإسلام همذان خَرَّ ساجداً ثمَّ رفع رأسه فقال : « السلام على همذان ، السلام على همذان » .

وروى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن عوف قال : خرج رسول الله ﷺ فتوجه نحو صدقته ، فدخل فاستقبل القبلة . فخر ساجداً فأطال السجود ، حتى ظننت أن الله عز وجل قبض نفسه فيها ، فدنوت منه فجلست ، فرفع رأسه ، فقال : « من هذا ؟ » قلت : عبد الرحمن ، قال : « ما شأنك ؟ » قلت : يا رسول الله ، سجدت سجدة خشيت أن يكون الله عز وجل قد قبض نفسك

---

(١) سنن أبي داود ٣ / ٢١٦ ، كتاب الجهاد ، باب في سجود الشكر ، حديث رقم (٢٧٧٤) .

فيهـا ، فقال : « إن جبريل عليه السلام أتاني فبشرني فقال : إن الله عز وجل يقول : من صلى عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه » فسجدت لله عز وجل شكراً »(*) .

وروى البخاري أن كعب بن مالك سجد لمّا جاءته البشرى بتوبة الله تعالى عليه[1] .

صفتهـــــا :

مثـل سجـود التلاوة دون الدعاء المأثور لأنه خاص بسجود التلاوة .

شروط سجدة الشكر :

قيل : يشترط لسجود الشكر ما يشترط لسجود التلاوة

---

(١) البخاري (فتح الباري) ٧/ ٧١٩ . كتاب المغازي ، باب حديث كعب بن مالك ، حديث رقم (٤٤١٨) .

(*) مسند الإمام أحمد ١ / ٤٠٧ ، مسند عبد الرحمن بن عوف ، حديث رقم (١٦٦٤) .



والصحيح أنـه ليس هناك ما يدل على اشتراط الوضوء والطهارة للمكان والثياب في سجود الشكر ، ولا يسجد للشكر وهو في الصلاة ، لأن سبب السجدة ليس منها ، فإن فعل بطلت صلاته ، إلا أن يكون ناسياً أو جاهلاً بتحريم ذلك[١٠] .

قال شيخ الإسلام : ولو أراد الدعاء فعفر وجهه لله بالتراب وسجد له ليدعوه فيه ، فهذا سجود لأجل الدعاء ، ولا شيء يمنعه . فالمكروه هو سجود بلا سبب[١١] .

---

(١٠) انظر الفقه الإسلامي وأدلته ١/ ١٢٩ ، وفقه السنة ١ / ٢١٢ .

(١١) انظر حاشية الروض المربع ٢/ ٢٤٤ .

خاتمـــة

ها هي المحـطة الأخيرة في هذه الرسالة التي عرجنا خلالهـا على عدد غير قليل من المعاني الإيمانية المتصلة بالسجود أبرز صور العبودية والخضوع في أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين وهي الصلاة .

وأحسب أن هذه العجالة تثير في النفس شجوناً وفي العقل تفكيراً حول الأثر الإيماني الذي يلامس القلوب فيحييها ويملؤها خشية لله وحباً له ، واستحضار لعظمته وشوقاً للقائه وينيل النفس أحلى لذة ، وأعظم سعادة ، لا تقارن بها الدنيا بكل ما فيها من متاع زائل ونعيم زائف .

ولا أشك أن الجميع يستشعر أننا في أمس الحاجة إلى هذا الرواء في زمن الجدب ، وإلى الارتباط بالآخرة في زحمة مغريات الدنيا ، وإلى الانطلاق بالروح نحو آفاق الملأ الأعلى مع كثرة الجواذب التي تشد إلى الأرض ، فاللهم اجعلنا أغنى الأغنياء بك وأفقر الفقراء إليك ، وأذقنا لذة العبادة والطاعة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين .

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ تفسير القرآن العظيم ، للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي ، طبع دار الفكر ، ١٤١٢هـ .

٣ ـ في ظلال القرآن ، سيد قطب ، طبع دار الشروق ، الطبعة التاسعة ، ١٤٠٠هـ .

٤ ـ صفوة الآثار .

٥ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، طبع دار الدعوة ، ١٩٨٨م .

٦ ـ فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري ، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، طبع دار الريان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩هـ .

٧ - صحيح مسلم بشرح النووي ، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري ، وشرحه للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، طبع مؤسسة قرطبة . الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ .

٨ - الجامع الصحيح (سنن الترمذي) ، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق وشرح الشيخ أحمد محمد شاكر ، طبع دار الكتب العلمية .

٩ - سنن أبي داود ، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، طبع دار الحديث .

١٠ - سنن النسائي ، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، طبع دار البشائر ، الطبعة الأولى المفهرسة ١٤٠٦هـ .



١١ ـ المسند ، للإمام أحمد بن حنبل ، طبع دار الفكر ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ .

١٢ ـ لسان العرب .

١٣ ـ المعجم الكبير

١٤ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للإمام المناوي ، طبع مؤسسة قرطبة .

١٥ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر ، للإمام المبارك بن محمد الجزيري (ابن الأثير) .

١٦ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد ، للإمام ابن قيم الجوزية ، طبع مؤسسة الرسالة ، الطبعة السادسة والعشرون ، ١٤١٢هـ .

١٧ ـ حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع ، للإمام عبد الرحمن بن محمد العاصمي ، طبع مؤسسة قرطبة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥هـ .

١٨ ـ العدة شرح العمدة .

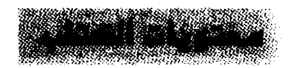
١٩ ـ الفقه الإسلامي وأدلته .

٢٠ ـ فقه السنة ، للشيخ سيد سابق .

٢١ ـ إحياء علوم الدين ، للإمام أبي حامد الغزالي .

٢٢ ـ نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء لمحمد حسن عقيل موسى ، طبع دار الأندلس ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ .

٢٣ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، للإمام حاجي خليفة ، طبعة المكتبة الفيصلية .



محتويات الكتاب

الموضـوع	الصفحة



الموضـــوع	الصفحة